إحياء علوم الدين

تصنيف

الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

المتوفى في ٥٠٥ هـ

وبذيله كتاب

المغني عن حمل الأسفار في الأسفار

في تخريج ما في الإحياء من الأخبار

للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي

المتوفى في ٨٠٦ هـ

وتمامًا للنفع ألحقنا بالكتاب في آخره ثلاثة كتب:

الأول: تعريف الأحياء بفضائل الإحياء، للعلامة عبد القادر بن شيخ بن عبد الله ابن شيخ بن عبد الله العيدروس الحسيني العلوي.

الثاني: الإملاء عن إشكالات الإحياء، للإمام الغزالي: رد به اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الإحياء.

الثالث: عوارف المعارف: للعارف بالله تعالى الإمام السهروردي.

الجزء الأول

دار المعرفة

بيروت - لبنان

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

ترجمة الإمام الغزالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الهادى إلى الصواب . وأشهد أن لا إله إلا الله الكريم الوهاب ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله من آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب . اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن أحيا سننه إلى يوم الدين .

أما بعد : فهذه نبذة من تاريخ حياة الإمام الغزالى رحمه الله تعالى نوردها ليعلم القارىء شيئاً عنه وبالله التوفيق

هو الإمام الجليل ، محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الطوسى الغزالى ، حجة الإسلام . ومحجة الدين التى يتوصل بها إلى دار السلام ، جامع أشتات العلوم ، والمبرز فى المنقول منها والمفهوم . جرت الأئمة قبله لشأو ما قنع منه بالغاية ، ولا وقف عند مطلب بل لم يبرح فى دأب لا يقضى له بنهاية ، حتى أخمل من الأقران كل خصم بلغ مبلغ السها ، وأخمد من نيران البدع كل مالا تستطيع أيدى المجالدين مسها . كان رضى الله عنه ضرغاما إلا أن الأسود تتضاءل لديه وتتوارى ، وبدراً تماما إلا أن هداه يشرق نهارا ، وبشرا من الخلق إلا أنه الطود العظيم ، وبعض الناس ولكن مثل مابعض الجماد الدر النظيم . . جاء والناس إلى رد فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصابيح السماء . وأفقر من الجدباء إلى قطرات الماء ، فلم يزل يناضل عن الدين الحنيفى بجلاد مقاله ، ويحمى حوزة الدين ولا يلطخ بدم المعتدين حد نصاله ، حتى أصبح الدين وثيق العرى . وانكشفت غياهب الشبهات وما كانت إلا حديثاً مفترى .

هذا مع ورع طوى عليه ضميره ، وخلوة لم يتخذ فيها غير الطاعة سميره ، ترك الدنيا وراء ظهره ، وأقبل على الآخرة مخلصاً لله فى سره وجهره .

مولده

ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة ، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه فى دكان بطوس ، ولما حضرته الوفاة وصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف من أهل الخير وقال له : إن لى لتأسفا عظيما على تعلم الخط وأشتهى استدراك مافاتنى فى ولدى هذين فعليهما ولا عليك أن ينفد فى ذلك جميع ما أخلفه لهما . فلما مات أقبل الصوفى على تعليمهما إلى أن فنى ذلك النزر اليسير الذى خلفه لهما أبوهما وتعذر على الصوفى

القيام بقوتهما فقال لهما : اعلما أنى قد أنفقت عليكما ما كان لكما وأنا رجل من أهل الفقر والتجريد . ليس لى مال فأواسيكما به . وأصلح ما أرى لكما أن تلجأ إلى مدرسة كأحكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما ففعلا ذلك وكان هو السبب فى سعادتهما وعلو درجتهما . وكان الغزالى يحكى هذا ويقول : طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله .

صفة والده

ويحكى أن أباه كان فقيراً صالحاً لا يأكل إلا من كسب يده فى عمل غزل الصوف ويطوف على المتفقهة ويجالسهم ويتوفر على خدمتهم ويجد فى الإحسان إليهم والنفقة بما يمكنه عليهم وأنه كان إذا سمع كلامهم بكى وتضرع وسأل الله أن يرزقه ولداً ويجعله فقيهاً ويحضر مجالس الوعظ فإذا طاب وقته بكى وسأل الله أن يرزقه ولداً واعظاً . فاستجاب الله دعوتيه .

أما أبو حامد فكان أفقر أقرانه ، وإمام أهل زمانه . وفارس ميدانه . كلمة شهد بها الموافق والمخالف ، وأقر بحقيقتها المعادى والمخالف .

وأما أحمد فكان واعظاً تنفلق الصم عند استماع تحذيره . وترعد فرائص الحاضرين فى مجالس تذكيره

تلقيه العلوم

قرأ الغزالى رضى الله عنه فى صباه طرفا من الفقه ببلده على أحمد بن محمد الراذكانى ثم سافر إلى جرجان أبى نصر الإسماعيلى وعلق عنه التعليقة ثم رجع إلى طوس . قال الإمام أسعد الميهنى فسمعته يقول : قطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع مامعى ومضوا . فتبعتهم . فالتفت إلى مقدمهم وقال : ارجع ويحك وإلا هلكت . فقلت له : أسألك بالذى ترجو فسلامة منه أن ترد على تعليقتى فقط فما هى شىء تنتفعون به . فقال لى : وما هى تعليقتك ؟ فقلت : كتب فى تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها . فضحك وقال : كيف تدعى أنك عرفت علمها . وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم ثم أمر بعض أصحابه فسلم إلى المخلاة .

قال الغزالى رحمه الله : فقلت هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدنى به أمرى . فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ماعلقته . وصرت بحيث لو قطع الطريق لم أتجرد من علمى . وقد روى هذه الحكاية عن الغزالى أيضاً الوزير نظام الملك كما هو مذكور فى ترجمة نظام الملك من ذيل ابن السمعانى .

قدومه نيسابور وملازمته لإمام الحرمين

ثم إن الغزالى قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين وجد واجتهد حتى برع المذهب والخلاف والأصلين والجدل والمنطق ؛ وقرأ الحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك ، وفهم كلام أرباب هذه العلوم ، وتصدى للرد عليهم وإبطال دعاويهم . وصنف فى كل فن من هذه العلوم كتبا أحسن تأليفها وأجاد وضعها وترصيفها

وكان رضى الله عنه شديد الذكاء عجيب الفطرة مفرط الإدراك ، بعيد الغور ، غواصاً على المعانى الدقيقة جبل على مناظراً محجاجا وكان إمام الحرمين يصف تلامذته فيقول : الغزالى بحر مغرق ، والكيا : أسد مخرق ، والخوافى : نار تحرق .

زيارته للوزير نظام الملك

ثم لما مات إمام الحرمين خرج الغزالى إلى العسكر قاصداً للوزير نظام الملك ، وناظر الأئمة والعلماء فى مجلسه وقهر الخصوم ، وظهر كلامه على الجميع ، واعترفوا بفضله ، وتلقاه الصاحب بالتعظيم والتبجيل ، وولاه تدريس مدرسته ببغداد . وأمره بالتوجه إليها ، فقدم بغداد فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة ودرس بالنظامية ، وأعجب الخلق حسن كلامه وكمال فضله وفصاحة لسانه ونكته الدقيقة وإشاراته اللطيفة ، وأحبوه وأحلوه محل العين بل أعلى وقالوا أهلا بمن أصبح لأجل المناصب أهلا .

إقامته على التدريس

وأقام على التدريس وتعليم العلم مدة عظيم الجاه زائد الحشمة عالى الرتبة مشهور الإسم ، تضرب به الامثال وتشد إليه الرحال إلى أن شرفت نفسه عن رذائل الدنيا فرفض مافيها من التقدم والجاه ، وترك كل ذلك وراء ظهره وقصد بيت الله الحرام ، فحج وتوجه إلى الشام فى ذى القعدة سنة ثمان وثمانين ، واستناب أخاه فى التدريس وجاور بيت المقدس ، ثم عاد إلى دمشق واعتكف فى زاويته بالجامع الأموى المعروفة اليوم بالغزالية نسبة إليه .

زهده وورعه

ولبس الثياب الخشنة ، وقلل طعامه وشرابه ، وأخذ فى التصنيف للاحياء ، وصار يطوف المشاهد ، ويزور الترب والمساجد ، ويأوى إلى القفار ، ويروض نفسه ويجاهدها جهاد الأبرار ، ويكلفها مشاق العبادات ، ويبلوها بأنواع القرب والطاعات ، إلى أن صار قطب الوجود ، والبركة العامة لكل موجود ، والطريق الموصل إلى رضا الرحمن .

تكلمه على لسان أهل الحقيقة

ثم رجع إلى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ ، وتكلم على لسان أهل الحقيقة ، وحدث بكتاب الإحياء . قال ابن النجار : ولم يكن له أستاذ ولا طلب شيئاً من الحديث ، لم أر له إلا حديثا واحداً سيأتى ذكره فى هذا الكتاب — يعنى تاريخه — قلت : ولم أره ذكر هذا الحديث بعد . وقد أخبرنا أبو الحافظ بحديث من حديثه أوردناه فى الطبقات الكبرى .

ماشهد له به العلماء العاملون

قال الإمام محمد بن يحيى : الغزالى هو الشافعى الثانى : وقال أسعد الميهنى لايصل إلى معرفة علم الغزالى

وفضله إلا من بلغ أو كاد يبلغ الكمال فى عقله وقال أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد المنعم العبدرى : رأيت بالاسكندرية فيما يرى النائم كأن الشمس طلعت من مغربها ، فعبر ذلك بعض المعبرين ببدعة تحدث فيهم فوصلت بعد أيام والمركب بإحراق كتب الغزالى بالمرية .

توزيع أعماله على الأوقات

ثم إن الغزالى عاد إلى خراسان ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة يسيرة . ثم رجع إلى طوس واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية ؛ ووزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ، ومجالسة أرباب القلوب والتدريس لطلبة العلم ، وإدامة الصلاة والصيام وسائر العبادات إلى أن انتقل إلى رحمة الله ورضوانه طيب الثناء ، أعلى منزلة من نجوم السماء ؛ وأهدى للأمة من البدر فى الظلماء لا يبغضه إلا حاسد أو زنديق .

ما حصل لمبغضيه من البلاء

ولقد كان فى ثغر الاسكندرية من مدة قريبة أدركها أشياخنا شخص يبغض الغزالى ويغتابه ، فرأى النبى ﷺ فى المنام ؛ وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما إلى جانبه ، وكأن الغزالى واقف بين يديه وهو يقول : يارسول الله هذا - يعنى الرائى - يتكلم فى ويؤذينى قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هاتوا السياط . وأمر به فضرب بين يديه لأجل الغزالى وقام هذا الرجل من النوم وأثر السياط على ظهره .

مصنفاته رضى الله عنه

ومن تصانيف الغزالى : البسيط ، والوسيط ، والوجيز ، والخلاصة ، والمستصفى ، والمنخول ، وتحصين الأدلة ، وشفاء العليل ، والأسماء الحسنى ، والرد على الباطنية ، ومنهاج العابدين وإحياء علوم الدين . وغير ذلك من التصانيف .

وفاته رحمه الله تعالى

توفى بطوس يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة ، ولو أردنا استيعاب ترجمته لطال الشرح وفيما أوردناه مقنع وبلاغ .

ترجمة الإمام العراقى

وإليك ترجمة الإمام العراقى مخرج أحاديث الإحياء :

قال الإمام الحافظ السيوطى فى كتابه حسن المحاضرة فى باب ذكر من كان بمصر من حفاظ الحديث ونقاده:

العراقى هو الإمام الكبير الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن حافظ العصر ، ولد بمنشاة المهرانى بين مصر والقاهرة فى جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، وعنى بالفن وتقدم فيه بحيث كان شيوخ عصره يبالغون فى الثناء عليه بالمعرفة . كالسبكى والعلائى وابن كثير وغيرهم . ونقل عنه الإسنوى فى المهمات ووصفه بحافظ العصر . وكذلك وصفه فى الترجمة ابن سيد الناس .

وله مؤلفات فى الفن بديعة كالألفية التى اشتهرت فى الآفاق وشرحها ، ونظم الاقتراح ، وتخريج أحاديث الإحياء - وهو الذى بين يدى القارئ - وتكملة شرح الترمذى لابن سيد الناس .

وشرع فى إملاء الحديث من سنة ست وتسعين فأحيا الله تعالى به سنة الإملاء بعد أن كانت دائرة فأملى أكثر من أربعمائة مجلس ، وكان صالحاً متواضعا ضيق المعيشة . مات فى ثامن شعبان سنة ست وثمانمائة ورثاه تلميذه الحافظ ابن حجر العسقلانى بقصيدة غراء فانظرها هناك .